

60

فكرية ثقافية محكّمة تصدر عن مركز التراث والبحوث اليمني

في هذا العدد

السنة (20) العدد (60) شتاء 2019 (ديسمبر) الثمن 8$

مِنْ نقوش المُسْنَد في يَرِيم

أ. عُبَاد بن علي الهيَّال♦

مقدمة

حين يقع بين يديّ نقشٌ مسنديٌّ منقوصٌ لكسرٍ أو لتلفٍ في بعض كلماته، يترك في نفسي أسفاً وتساؤلاً أكثر مما يتركه من فائدة، وهذا القول ينطبق على نقشنا هذا.

كان الأستاذ عبد الله النمراني قد أرسل لي بصورة النقش أول الأمر، ولما كان النقش ناقصاً، فقد دَوّنْتُ بعض الملحوظات والأسئلة وجهتها له ليجيب عليها، وما هي إلا أيام قلائل حتى أرسل لي بوصف للمكان، مشفوعاً بصور فوتوغرافية على أثر زيارته لقرية رباط الرميش.

وكنت أؤمل أن أحصل على الأجزاء المكسورة من اللوح الحجري، علَّها تسدّ ثغراتٍ في النقش، كأن يُذكَر اسمُ صاحب النقش الذي لا بد أن يكون من كُبَراء دولة الملك الحميري شَمَّر يُهَحْمد، أو أن تُعرَف القبائلُ التي شاركت في أعمال البناء، أو أن أجد معلومةً ما تضيء جانباً من سيرة هذا الملك المغمـور، وإن كان النقش إنشائياً، ثم إن النقش يذكر بناء سور وبناءً آخر، لكن الصور جاءت بما لا يـدل على ذلك، فهل نُقِلَ

♦ كاتب يمني، ولد ونشأ في صنعاء وأخذ عن علمائها، وتخرج من كلية الآداب، وله عدة بحوث ودراسات في مجال اللغة العربية والآثار القديمة، وهو من أهالي خولان شرق صنعاء.

النقش إلى هذا المكان؟ ومتى؟ مع تأكيد مَنْ عثر على النقش أنه إنما استخرجه من المكان عينه[1]!



مكان النقش:

عُثِر على النقش عند الحفر عشوائياً في قرية "رِباط الرُّمَيْش" إلى الشمال الغربي من مدينة يَريم، على بعد سبعة كيلومتر، ولا يبعد هذا الموضع كثيراً عن مستوطنة جبلية قديمة تسمى حالياً "سَبْلَة عابِس"، تابعة لقرية حَدَّة، في عزلة وادي الحار بمديرية عنس (محافظة ذمار)، وتبلغ المسافة بينهما أقل من عشرة كيلومتر في خط مستقيم على الخريطة، وقد عثر في تلك المستوطنة على نقش مسندي كان موضوع دراسة للدكتور فيصل محمد إسماعيل البارد[2]، وتبعد عن ظَفَار (حاضرة الحميريين) بحوالي سبعة عشر كيلوا متر بخط مستقيم.

انظر الخريطة الآتية:


14°18'59.85" N 44°22'49.96" E
12/18
5 km
©OpenStreetMap contributors
وادي الحار
بيت العدني
رباط الرميش
يريم
ظفار
N1
Anss
ذمار
الحجرة
المكاك
جلاس
عمران
وردسان
الخرابة
بني ساري
القفل
الحمة
قرار
غزوان
العريش
الشرفة
رباط عمران
السملال
الدوس
بني قاسم
المنشر
بيت النعم
دماس
الواسطة
الساري
قطن
بلسان
صنص
غراس
الجياف
دمران
الجنوبة
ماور
جيران
الجرداء
جمراء
المكعشين
جبل مطير
ذي شماران
جدة عليس
جرف ناجي
بيت الحلفي
رباط القلعة
الكشاورة
الجدس
ذي الهلباب
السيرة
الصبح
سبعان
خاو
العمارى

وقد وصف الأستاذ عبدالله النمراني المكان الذي عثر فيه على النقش، في رسالة قال فيها: "الموقع على رأس تَبَّة[3] حمراء تتوسط وادياً، وإلى جوارها تِبَاب من الشرق والغرب، في رأس هذه التبة نجد مكاناً مربع الشكل محفوراً أسفل الأرض وسقفه على مستوى سطح الأرض (في قمة التبة)، والحفرة مربعة الشكل مُقضَّضة كلها قَضَاضاً حسناً، ينزل النازل هذا البناء بدَرَج للأسفل تعرض للتخريب، يتكون البناء من ثلاث طبقات جميعها تحت الأرض، وقد سقطت سقوفها، وتظهر في داخل البناء ستة أعمدة حجرية دائرية الشكل، وإلى جانب النقش عثر على بعض القطع الحجرية، منها لوحة نحت فيها هلال ودائرة، وعثر على عمود منحوت وقطعة حجرية أشبه بالمفتاح وقطعة كالميدالية، ويضيق البناء كلما نزلت للأسفل، وعثر على بقايا أشياء مصهورة عبارة عن قطعتين من صهارة سوداء تشبه التنكار المستخدم في الصهر في زمننا هذا، ويظهر في جانب إحدى القطعتين تراب غير مكتمل الصهر ذو لون أرجواني، ومما عثر عليه بقايا لعظام منها سن كبير الحجم لا يعرف إن كان لإنسان أم حيوان، وعثر بجوار هذا البناء على ما يشبه البئر، وقد ردمت بالتراب الذي استخرج من داخل البناء"[4].

وصف النقش:

لوح حجري مستطيل لحقه كسر في جانبيه الأيمن والأيسر، وزُبِرت عليه خمسة أسطر بحروف غائرة جميلة، "طول النقش 46 سم، وعرضه 25 سم، وطول الحرف (ارتفاعه) 5 سم"[5].

وجاء فيه رسم حرفي الجيم واللام متماثلين -كما في كثير من نقوش المسند- ولذا يعسر التفريق بينهما إلا من سياق الكلمة، وجاء رسم حرف الدال مغايراً لرسمه المعروف، فالدال -ها هنا- رُسِم بخط عمودي، لكن يتوسطه خط أفقي يتصل أحد

طرفيه بالخط العمودي، أما طرفه الآخر فقد رسم على شكل رأس مسمار.

يرجع تاريخ خط النقش إلى عهد الملك شمر يهحمد -كما هو مذكور في النقش- أي إلى قُبيل منتصف القرن الثالث الميلادي، وبذا فإن النقش يصنف ضمن نقوش المرحلة D التي تشمل النقوش من القرن الثاني إلى الثالث الميلادي، وفق تصنيف مدونة النقوش DASI[6].

نص النقش:

1. و ق و ح/ و ج ن أ/ و ص ن ع/ ك ل/ ج ن أ/ و م [ح ف د ت؟]...
2. [ب] ر د أ/ و م ق م / م ر أ هـ م و/ ع ث ت ر ش ر ق ن...
3. [و ب ش] م س هـ م و/ و م ن ض ي ح ت/ أ ب ي ت هـ م و/ [و]...
4. [و ب ت ح] ر ج/ م ر أ هـ م و/ ش م ر/ ي هـ ح م د/ م ل ك/ س ب أ...
5. و/ و ذ ت/ ح ر ج ت هـ م و/ أ ش ع ب/ ي ق هـ ن ن/ و ح ر ج...

قراءة النقش:

أ-وملَّطَ وسوّرَ وقَوَّى كلَّ سُوْر و [أبراج؟]...

ب-بعون ومقام إلههم عثتر الشارق...

ج-و [بشـ]مسهمُ و(الآلهة) ممطرات بيوتهم/ [و]...

د-[بسلطان] سيدهم شمر يهحمد ملك سبأ...

هـ-وما ولّتهم (الآلهة السلطة على) القبائل (التي) أَمَرَ(ها) ووَجَّهـَ(ها)...

ق و ح:

وردت في النقوش صيغ تحت مادة "ق و ح" التي افترضها واضعو المعجم السبئي[7]، وهي تدور حول معنيين رئيسين هما: مَلّط (طلى)[8]، وأنجز، وبهذين المعنيين أيضاً جاءت مادة "ق ي ح" في المعجم السبئي[9]، وعند بافقيه وباطايع "هـ ق ح" بمعنى ملطَ وجصّصَ[10]، وفي كلام العامة في بني صريم من حاشد، يقال للشخص إذا لم ينجز ما كُلِّف به: فلان ما قَحّ منه شي، أي لم ينجز ما وكل به[11]، ومَلَطَ، ومَلَّطَ بمعنى طلى، كلمة عامة لا تخص مادة بعينها من المواد التي كانت تستعمل في الطلاء، ونرى أنه متى ما عُلِمت مادة الطلاء اشتق لها فعل من اسمها، فيقال قَضّضَ إن كانت المادة من القَضَاض، ويقال قَصّصَ/ جصصَ إن كانت المادة من القص/ القُصّة[12]، أما إن كانت المادة من الطين المبلل بالماء (الخُلب)، فيقال (صَهَرَ) المستعملة في بعض العاميات[13]، وبعض العاميات يستعمل صهر استعمالاً عاماً سواء كانت المادة المستعملة قضاضاً أم قصاً أم طيناً[14].

وفي نقشنا جاء الفعل "ق وح"، ولم نستطع أن نتبين إن كان مزيداً بحرف قبله كالهاء "هـ ق وح"، وأغلب الظن أنه جاء مجرداً بلا زيادة، أي "ق و ح"، وعلى هذا فيكون قد جاء في هذا النقش مجرداً للمرة الأولى، وربما كان قبله حرف الواو، فيكون معطوفاً على فعل أو أكثر قبله، برأ وهوثر... (بنى وأسس...)، مثلاً كما في (CIH 40، RES 3383)[15]، واخترنا لـ"ق و ح" في نقشنا معنى ملط[16] (انظر الصورة).

ج ن أ:

يأتي فعلاً بمعنى سَوَّر (بنى سوراً)، ويأتي اسماً بمعنى سُوْر، والجمع "أ ج ن أ"[17]، و"ج ن أ ت"[18]، وعن حظ هذه المادة اليمانية في كتب التراث العربي، يقول الإرياني:

"كان من حق هذه الدلالة أن ينص عليها في كتب التراث العربي المرجعية، ولكنها لم ترد فيها أبداً، ولم ينص فيها على أن الجنأ هو السور البتة، وذلك رغم أنها كانت متاحة أمام اللغويين في شاهد صريح وواضح من الأمثال العربية، وهو مثل تداوله اللغويون فيما بينهم، ويذكر أجناء بمعنى: أسوار، إلا أنهم -ونقولها بصراحة- جهلوا المعنى الحقيقي للكلمة، وأعطوها معنى آخر خاطئاً، وأوردوها في غير موضعها من معجماتهم، وخبطوا خبط عشواء في شرحها وتعليل سياقها.

إن المثل الذي يتداولونه يقول: "أبناؤها أجناؤها"، وهو بالبديهة يتحدث عن مدينة لم يكن لها أسوار، ولكن أبناءها يفخرون بأنهم هم أجناؤها، أي: أسوارها وحماتها.."[19].

ص ن ع:

يأتي فعلاً بمعنى قوَّى، وَثَّقَ، وينقل الأغبري عن الإرياني أن الفعل (صَنَعَ) قد اختفى من لهجتنا اليوم[20]، وفي هذا نظر، لأن الفعل "صَنَّع، يصنِّع، صَنِّع" مازال يجري على الألسن في خولان الطِيَال -على الأقل- فيقال: صَنَّعَ الباب إذا أغلقه ولم يحكم إغلاقه (أبقاه مفتوحاً قليلاً)، وإن كان الفعل في طريقه إلى الانحسار شأن كثير من مفردات لغة أهل اليمن، والاسم "م ص ن ع ة" بمعنى قلعة جبلية[21]، وجمعها في كلامنا "مصانع".

وجاءت في القرآن الكريم بالدلالة الواردة في النقوش وفي كلامنا، قال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[الشعراء: 129][22]، والدلالة العامة لـ"صَنَّعَ" هي حَصَّنَ، و"تَصَنَّعَ" بمعنى تحَصَّن، ويذكر الإرياني أن هذه الكلمة "بقيت في لغتنا العربية بهذه الدلالة، وإن هي تشوشت في المعاجم والقواميس بكثرة "القلقلة" فيها، أي قولهم: قيل فيها كذا.. وقيل كيت.. وقيل كذا وكذا.. وكيت وكيت"[23].

قلت: ولعل الفعل "تُصْنَعَ" في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39] قد جاء بمعناه في النقوش اليمانية، فيكون معنى لِتُصْنَعَ أي لِتُحَصَّنَ ولِتُحْفَظَ، وقد فسرت المعجمات "لِتُصْنَعَ" بـ"لِتُغَذَّى" وبـ"لِتُرَبَّى" وبـ"لِتَنْزِلَ بِمَرأى مِنِّي"[24]، وفسرها أحمد المؤيد بـ"تحت رعايتي وحفظي"[25]، وهذه الأخيرة وما قبلها هما الأقرب لما ذهبنا إليه، والله أعلم.

في نهاية السطر الأول من نقشنا نجد كلمة لم يبق منها غير حرف الميم، مما يجعلنا نفترض كلمات تبدأ بحرف الميم من مثل: مصنعة (م ص ن ع ت) (قلعة جبلية)[26]، أو مَحْرَم (م ح رم) (حرم ~ محيط مقدس، معبد)[27]، أو مغبة (م غ ب ت) وجمعها مغابب (م غ ب ب) (جدار مستوٍ لا بروز فيه/ تحصينات)[28]، أو محفدات (م ح ف د ت) (أبراج السور، والبرج هو ذلك الجزء البارز من السور)[29]، والأرجح أن هذه الأخيرة هي المناسبة، فقد وردت الكلمتان (ج ن أ و م ح ف د ت) متعاطفتين في نقوش المسند[30]، لكن إن كان البناء معبداً فلربما يُشْكِل تقدير كلمة (م ح ف د أو م ح ف د ت) (برج أو أبراج)، لأن المكان الذي عُثر فيه على النقش ليس به ما يدل على وجود برج أو أبراج[31].

عثتر ش ر ق ن:

في العصر الملكي المتأخر (من عام ٤٠ للميلاد حتى نهاية مملكة سبأ)، حين يذكر "عثتر" في نقوش البناء، فإنه يُدعى "عثتر الشارق" غالباً، أي أن الأبنية تقام بواسطة قدرة عثتر الشارق، وبمساعدته وبحمايته[32].

[ش] م س هـ م و:

حرف الشين مبتور من النقش وقدرناه بدلالة السياق في نقوش أخرى تتوسل بالشمس والمنضحات، كما في: (CIH 339 bis، CIH 340، BaBa al- Hadd 4 ...)، وربما

كانت بصيغة الجمع [أ ش] م س هـ م و: أي شموسهم كما في: (أ ش م س هـ م و/ و م ن ض ح ت/ أ ب ي ت هـ م و)[33].

ن ض ح:

الاسم منه "م ن ض ح": منضح، وجمعه "م ن ض ح ت" منضحات بمعنى إله، ولي (بيت أو بئر)[34]، وعند الإرياني تأتي "منضح" بمعنى "ممطر"[35]، وعند بافقيه وباطايع: الآلهة الحامية[36]، وفي معجمات الفصحى: النَّضْح: الرَّشّ... ونضحَ البيتَ ينضِحُه نضحاً: رَشَّه... والنواضح من الإبل: التي يُستَقى عليها، واحدها ناضِح، والنَّضّاح: الذي ينضح على البَعير، أي يسوق السَّانِيَة، ويسقي نخلاً... والناضح: المَطَر، وقد نضحتنا السماء..[37]، ومما سبق فإن "منضحات" في النقش قد تكون بمعنى مُمْطِرات أو مُسْقِيات. وفي نقشنا جاءت بياء مقحمة "م ن ض ي ح ت"[38]! وهذه الآلهة المنضحة كثيراً ما يقترن ذكرها بالبيوت، كما في:

(DhM 201، CIH CIH 569، CIH 40، Baha 1)[39].

ووفق دراسة لفيصل البارد، فإن نعوت آلهة الأمطار هذه منضح (ومعها ذنمن ومضح)، لم تُذكر في بداية ازدهار الممالك اليمنية القديمة، وأنها ذكرت ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والثالث الميلادي [حتى الآن]، وقد اقتصر انتشار معظمها جغرافياً في أراضي مملكتي قتبان وأوسان[40].

أ ب ي ت:

يطلق اسم "ب ي ت" في النقوش المسندية على: المعبد، القصر، المنزل[41]، والجمع "أ ب ي ت" أبيات يطلق على المنازل[42].

ح رج:

تأتي في المعجم السبئي فِعْلاً بمعنى تولَّى، كان ذا سلطة، والاسم "ت ح ر ج"[43] بمعنى سلطة، ولاية، وسلطان[44]، واسم الفاعل للجمع "م ح ر ج"[45] "م ح ر ج و" بمعنى صاحب سلطة، صاحب ولاية[46]، وفي المعجم القتباني "ح رج" بمعنى يدير، يوجّه، يشرف على، يأمر...[47]، وبمعنى يحمي[48]، والاسم: "ت ح ر ج"[49]: بمعنى أمر، قيادة، إشراف، سلطة، إرشادات، تعليمات، حماية. وعند يوسف محمد عبدالله بمعنى عامل[50]، ولم أجد مادة "ح رج" في مدونة النقوش العربية الشمالية (OCIANA)، غير أن سليمان الذيب أورد مادة "ح ر ج" في المعجم النبطي بمعنى وَقَفَ، حَرَجَ، وذهب إلى أن هذا الجذر يعني أوقفَ، حرجَ، منعَ من الاستخدام والاستفادة منه عقاباً من المشرع للمتصرف بغير حق قانوني[51].

وفي الفصحى: الحَرَج: المكان الضيِّق، وهذا هو الأصل، ثم نقل مجازاً إلى معنى الإثم والحرام، يُقال حَرِجَ عليه السحور إذا أصبح قبل أن يتسحر، فحرُم عليه لضيق وقته.

وفي الحديث الشريف: اللهم إني أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْن اليتيم والمرأة: أي أُضَيِّقُه وأُحَرِّمُه على مَنْ ظَلَمَهما[52]، والحَرِج: الرَّجُل الذي لا يكاد يبرح القتال[53].

وفي كلام أهل الشِّحْر (ظفَار)، حُرْجْ: اعترض على زواج هذا من تلك، حَلَجْ - باللام بدل الراء- الحرج والمشقة[54].

وفي عاميتنا نقول: حَرَّجَ فلانٌ على فلانٍ فعل شيء، أي منعه.

ومما سبق يمكن القول إن معنى "حرج" في الفصحى والعامية على الضد من معنى

"حرج" في النقوش، وهي مسألة معروفة في اللغات العروبية القديمة.

جاء الفعل "ح ر ج" مسنداً لضمير الفاعل الغائب الذي يعود على الإلهة، ومتصلاً بتاء التأنيث "ح ر ج ت س"، بمعنى أَمَرَتْها في النقش القتباني الموسوم بـ" FB - al - 'Adi 2"، كما هو في نقشنا في السطر الخامس "ح ر ج ت هـ م و".

معالجة الكسر

كان للكسر وضياع كلمات من أول السطر وآخره، أثره على وضوح المعنى، وسنعمد إلى تحليل كلمات السطر لمحاولة تبيُّن معناه كما يلي:

- ✓ و/ ذ ت/ ح ر ج ت هـ م و/ أ ش ع ب/ ي ق هـ ن ن/ و ح ر [ج ن]..
- ✓ حرف (و) في أول السطر جزء من كلمة سابقة ضائعة.
- ✓ و ذ ت: حرف (و) للعطف، (ذ ت) موصولة تعني ما، أَنْ، فيكون المعنى (ومَا/ وأنْ)، وكثيراً ما تسبق (ذ ت) هذه بحرف الباء (ب ذ ت) أي بـِمَا / بِأنْ.
- ✓ ح ر ج ت هـ م و: مؤلفة من حرج + ت+ همو. حَرَجَتْ: فعل ماض (وذكرنا معناه آنفاً)، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر غائب يعود على مذكور قبله لم يظهر بسبب الكسر، والراجح أنه يعود على الإلهة أو الآلهات. أما "همو" فضمير جمع متصل، والراجح أنه يعود على أصحاب النقش الذين ضاعت أسماؤهم بسبب الكسر أيضاً، فيكون معنى "حرجتهمو": أي "ولَّتهم (الآلهة) السلطة على".
- ✓ أ ش ع ب: جمع "ش ع ب"، وجاءت في المعجم السبئي بمعنى قبيلة، قبيلة (من الحضر)، بلدة، ناحية (أي: عزلة)، مجموعة (من فئات قروية)[55]، وفي المعجم القتباني بمعنى قبيلة، جماعة قبلية[56]، وفي نقشنا يبدو أن المعنى الأنسب لكلمة "ش

ع ب" هو جماعة قبلية، مجموعة (من فئات قروية)، ومما ينبغي ملاحظته أن كلمة "أ ش ع ب" هنا جاءت مجردة من علامة التعريف (ن)، ومن علامة التنكير (م) التي تلحق آخر الاسم! وربما كانت "أ ش ع ب" مفعولاً ثانياً إذا قدرنا الفعل "حرج" متعدياً بنفسه إلى مفعولين، فيكون المعنى وما ولتهم الآلهة شعوباً، وربما كانت "أ ش ع ب" بدلاً من الضمير همو. ويصح أن نقدر بعدها اسماً موصولاً أي الشعوب (التي أو الذين).

ي ق هـ ن ن/ و ح ر [ج ن]

ورد الفعل المجرد "و ق هـ" بمعنى أَمَرَ، والمزيد "ت ق هـ" بمعنى أتم (عملاً أو مهمة)، وصيغة الجمع المزيدة "ت ق هـ و" بمعنى تَقَبَّلَ (نظاماً)[57]، وورد الاسم "ق هـ ت ن" بمعنى أمر، قرار رسمي[58]، ولم أجد مادة "و ق هـ" في مدونة النقوش العربية الشمالية (OCIANA)، وتأتي الصيغ المقابلة لـ"و ق هـ" في اللغتين العبرية والأكدية، بمعنى عام، هو الطاعة[59]، ففي الأكدية تأتي "utaqqu" بمعنى مُطِيع[60]، وتأتي "utaqquu" بمعنى أَمَر[61]، وفي العبرية يأتي الفعل أيضاً بمعنى أَمَرَ[62].

وفي معجمات الفصحى القاه والوَقْه: الطاعة[63]، لكن المعجمات اضطربت في مادتها، فهي مرة تحت مادة "و ق هـ"، وأخرى تحت مادة "و ف هـ"[64]، وجاءت في سياق نصوص تراثية عن أهل اليمن في الأغلب، كما في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل نجران "ولا واقِهَ عن وقَاهِيّته"، وجاء أن أهل اليمن كانوا يتعاونون على الدِّيَاس، ويسمون ذلك القاه، ونوبة كل رجل قاهُه، وذلك كالطاعة له عليهم لأنه تناوب قد ألزموه أنفسهم فهو واجب لبعضهم على بعض[65].

لم يرد الفعل "وَقَهَ" في معجمات الفصحى، بمعنى أَمَرَ، كما هو في النقوش، لكن

يمكن الاستنتاج من سياقها في المعجمات أنها بالمعنى نفسه كما هو في النقوش.

فقد جاء: "استيقه القوم: أطاعوا، مِن وَقِهْت"[66]، و"وقه له: أطاعه وسمع له"[67]، والطاعة لا تقع إلا لمن كان له أمر.

أما في نقشنا فقد جاءت الصيغة "ي ق هـ ن ن"، وهي لا ترد في المعجم السبئي ولا القتباني، لكنها وردت في مدونة النقوش (DASI) في النقوش الموسومة: (RES 4962، RES 4137، Ja 668، Ja 578).

وفي هذه النقوش الأربعة كان الفاعل (وهم الملوك) يأتي فيها متأخراً عن الفعل[68].

وح ر[ج ن]:

الواو للعطف، والفعل حرج ظهر منه حرف الحاء والراء وبعض حرف الجيم، وقدرنا حرف النون الذي يلحق الماضي عند عطفه على فعل سبقه، (وذكرنا معناه في ما سبق)، وجاء الفعل "ح رج ن" معطوفاً على الفعل "ي ق هـ ن ن" في النقش الموسوم بـ(RES 4137)، كما هو في نقشنا وترجمته مدونة (DASI) بـ"order and command".

ومما تقدم نستطيع أن نفسر معنى السطر: "وما ولَّتْهم (الآلهةُ) (السلطةَ على) القبائل (التي) أمَرَها ووَجَّهَها (الملكُ شمر يهحمد..) (للمشاركة في الأعمال الإنشائية..)".

تعليق:

ما إن وقع ناظراي على اسم الملك الحِمْيَرِيّ شمّر يُهَحْمد، حتى تذكرت من فوري ما كان قد سطّره عنه مطهر الإرياني، في دراسته المستفيضة لنقش بيت ضَبْعان[69] الذي اكتشفه عام 1984م، ومع بُعد الزمن بين تاريخ اكتشاف النقش المذكور وتاريخنا اليوم، فإن ما سطَّره الإرياني مازال صحيحاً في مجمله، فإن النقوش التي سُطِّرت في عهد الملك

الحميري شمّر يُهَحْمد (حوالي 240م)[70] -مِنْ قِبَله أو من قِبَل رَعِيَّته- مازالت قليلةً قياساً بعدد النقوش التي ذكرت الملك السبئي: إيل شرح يحضب بن فارع ينهب، فإن عدد نقوش شمر هذا لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة -في ما أعلم- وهي النقوش الموسومة بـ" Moretti 1، MAFRAY - al - Mi'sal 5،Ir 49"، ونقشنا هذا.

- وقد وصف إيل شرح يحضب عدوه شمراً "ذا ريدان" بصفات بغيضة، فهو: "ينكص عن النهوض إلى المبارزة حينما يدعوه إليها، وهو يخلف المواعيد حيث يتواعد الملكان للقاء بجيوشهما إلى مكان محدد يصل إليه "إيل شرح"، فلا يجد شمراً، ولا يجد له جيشاً، وهو نكاث للعهود والعقود لا يعطي للاتفاقيات المكتوبة والجزوم المجزومة وزناً ولا حرمة، وهو معتمد على القوى الأجنبية، يستنصر الأحباش، ويستعين بهم ضد مناوئيه من ملوك سبأ. كل هذا و"شمر" صامت صمت القبور..."[71].

- إذا كان الباحثون قد عرفوا جيداً -مِنْ نقش بيت ضَبْعان-أن شمر ذا ريدان هو شمر يهحمد عَيْنُهُ، غريم إيل شرح يحضب[72]، فمازال نسب شمر هذا مجهولاً، فلا يُعرَف ابن مَن هو؟ لأنه يُذكر في النقوش بغير نسبة إلى أب، غير أن الإرياني يفترض أن يكون شمر ابناً للملك ياسر يهصدق، ملك سبأ وذي ريدان[73].

- شهد قاع جهران وما يليه شرقاً وغرباً (ما بين مدينة ذَمَار جنوباً وأسفل نَقِيل "يسلح" [الخريطة 2])، أكثر المعارك بين قوات الملكين السبئي إيل شرح والحميري شمر[74]، وما كان السبئيون يبقون في الجهات التي اكتسحوها، إنما كانوا يكتفون بأعمال الهدم والنهب والسلب، ثم العودة بالغنائم والأسلاب إلى صنعاء، مروراً بـ"نَعِض"، كما قال بافقيه[75]، وقال أيضاً: "... يظهر من النقوش أن حِمْيَر كانت الجانب الأضعف في المواجهة، وأن شمر كان يلجأ -نتيجة لذلك- إلى الاستنجاد بالأحباش"[76]، لكنه يقول

في موضع آخر: "إن الحرب بين الجانبين أيام إيل شرح الثاني وأخيه في سبأ والملكين شمر وكرب إل في حمير، كانت سجالاً، ولعل عامل الوجود الحبشي، إلى جانب انشغال كل من سبأ وحمير في معارك أخرى في جهات أخرى، كان الحائل دون حسم مبكر للصراع بين قطبي الهضبة"[77].

وذكر بافقيه أن نَقِيل "يَسْلِح" كان الحد الفاصل بين السبئيين والحميريين[78]، ورسم الإرياني خط التماس بين "كتلتي سبأ وذي ريدان الحميرية" من جانب، و"سبأ كهلان" من جانب آخر، فقال إنه كان يمتد من "رَدْمان" و"السُّوَّادِيّة" و"البيضاء" شرقاً، إلى نَقيل "يسلح" ثم إلى "آنِس" و"عُتُمة" غرباً[79].

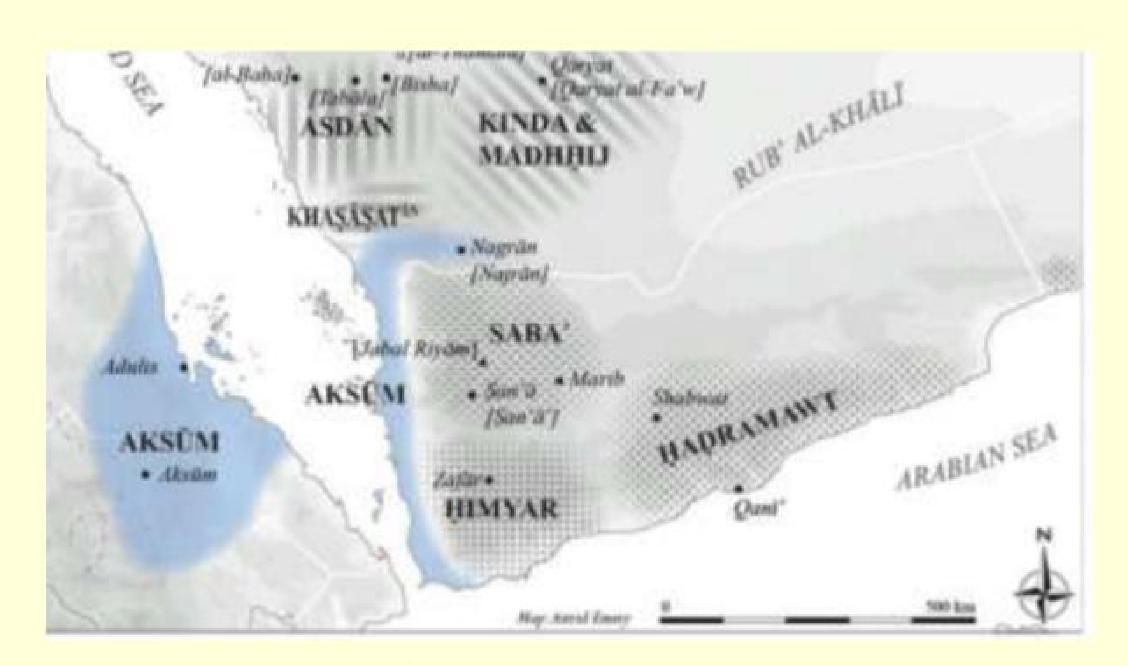
ونرى أن وجود موقع للملك الحميري شمر في رأس نقيل "يسلح"، يعد مكاناً متقدماً في مواجهة السبئيين.

- يظهر أن شمر يهحمد كان مهتماً بالأعمال الإنشائية بدلالة النقوش القليلة من عهده[80]، ومنها هذا النقش.

- هل كان هذا السور و"المحافد" أو "المصنعة" جزءاً من تحصينات دفاعية كان الغرض منها حماية مدينة "ظَفَار"، حاضرة الحميريين، من أعدائهم السبئيين. وقد ذكرنا طرفاً مما كان بينهم وبين الحميريين على عهد إيل شرح يحضب، أو من أعدائهم الحضارم الذين -في ما يظهر- أن شمر يهحمد قد دخل في صراع معهم من أجل احتفاظه بـ"ردمان" التي صارت تتبع حمير في عهده مع تصميم الحضارم على الاحتفاظ ببقية الأراضي القتبانية أو استرجاعها[81]، بيد أننا نرى أن الخطر الأشد على الحميريين وحاضرتهم "ظفار"، كان من عصابات الحبشة الذين كان لهم حضور سيئ في اليمن إبان القرن الثالث الميلادي[82] (انظر الخريطة 3)، وإذا كان شمر يهحمد قد حالفهم على

أعدائه السبئيين، فإنه قد استسلم للسبئيين ولملكيهم إيل شرح يحضب وأخيه يأزل بين "استسلاماً عابراً"، وفق تعبير بافقيه[83]، لمواجهة الحبشة، وما من شك أن شمر قد شهد هؤلاء الأحبوش بقيادة "بيجت" ابن النجاشي، ومن معهم من المعافريين، وهم يحاصرون مدينة "ظفار"، في عهد سلفه لعزم يهنف يهصدق[84]، بل تمكنوا من الوصول إلى وسط المدينة قبل أن يُجبروا على الانسحاب[85]، مثلما حاصروا "ظفار"، في عهد خلفه كرب إيل أيفع، حين وصل ابن النجاشي (لم يذكر اسمه) ومن معه من أحزاب الحبشة وذي معافر، إلى أنجاد "ظفار" ثانية لمدة 7 أشهر يترقبون الفرصة للهجوم عليها[86]، وربما كانت هذه التّبَاب -التي وجد فيها النقش موضوع دراستنا- من الأماكن التي تمركز فيها الأحبوش والمعافريون، لذلك نرى أن شمر لا بدّ أن يكون قد اهتم بإقامة التحصينات في دولته، خاصة "ظفار".


14°46'13.77" N 44°16'45.83" E
1:٥٦٢،٥٠٠ 11/18
10 km
©OpenStreetMap contributors
يكلى
بيت ضبعان
نقيل يسلح
يكار
ضاف
عاثين
ضوران
رصابة
الجبجب
أفق اليمن
هران
ذمار



تظهر على الخريطة الكيانات السياسية في اليمن (سبأ، حمير، حضرموت) والوجود الحبشي فيها (باللون الأزرق) ومملكة أكسوم الحبشية (باللون الأزرق) في القرن الثالث الميلادي (بين 280 و260م تقريباً).

The political map of Arabia and the Middle East in the third century AD revealed by a Sabaean inscription، by Jeremie Schiettecatte and Munir Arbach in Arabian archaeolgy and epigraphy، 2016: 27: 176 – 196 .

وقد اكتفينا من الخريطة بما يتعلق باليمن وأكسوم.









الهوامش

1 . أود هنا أن أشكر الأخوين علي أحمد صالح الرميش وابنه طارق، لإذنهما بدراسة النقش، وأشكر أيضاً الأخوين سليم محمد دلهوس، وحسين محمد عامر المدغري، لتعاونهما، وأخص بالشكر الأخ عبد الله النمراني الذي كان الواسطة بيني وبين الإخوة المذكورين، وأشكر الأخ الدكتور علي العامري، الأستاذ بقسم التواصل والإعلام في جامعة ميلانو -إيطاليا، الذي أفدت من نقاشه، خصوصاً ما يتعلق باللغة الأكدية، والشكر أيضاً أستاذنا الدكتور إبراهيم الصلوي الذي تكرم بقراءة هذه الدراسة الموجزة.

2 . المجلة العلمية لكلية التربية -جامعة ذمار، العدد 15، يونيو 2019م.

3. التَبَّة في كلام أهل اليمن: تكوين تضاريسي مرتفع كالتَّل.

4 . تصرفنا في الرسالة تصرفاً يسيراً.

5 . قام بأخذ المقاسات الأستاذ عبد الله النمراني.

6 أما وفق تصنيف "بيتر شتاين"، فإن النقش يصنف إلى العصر السبئي الوسيط، أي من القرن الثالث قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، راجع: A Fresh Look at Sabaic، A.Avanzini، Journal of American Oriental Society. Vol. 126، No.2Apr- Jun، pp 255، www.Jstor.org /stable /20064481.

7 راجع المعجم السبئي، بيستون ورفاقه، منشورات جامعة صنعاء، 1982م، ص١١٠-١١١، وراجع مناقشة فهمي الأغبري لمعاني الصيغ المختلفة لمادة "ق و ح" في معجمه: معجم الألفاظ المعمارية، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، وزارة الثقافة -صنعاء،1431هـ-2010م، ص١٦٥-١٦٧.

8 مَلَطَ الحائط: طلاه، كمَلَّطَه، القاموس المحيط، ص619.

9 ومما جاء بالواو والياء: "ك و ن" - "ك ي ن"، ص٨٠، و"م ي ر" - "م و ر"، ص٨٩، و"م ي ت" - ("م و ت"، ص٨٩، و"ق و ل" - "ق ي ل"، ص١١٠، و"ر و ت" - "ر ي ت"، ص١١٨.

10 نقوش من الحد، محمد بافقيه ومحمد باطايع، ريدان (مجلة)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف -عدن، العدد الخامس، 1988م، ص65، 69-70.

11 في لغة أهل اليمن، عباد بن علي الهيال، دار النظرية -صنعاء، ط/ الثانية، ص312.

12 وردت مادة "ق ص ص" في المعجم السبئي، وفُسِّرت بـ: قصة، جص، طين بشيد، ص109.

13 وانظر مادة "ص هـ ر" في المعجم اليمني، مطهر علي الإرياني، دار الفكر -دمشق، ط/ الأولى، 1471هـ-1996م، ص568.

14 ونجد ما يؤيد هذا الاستعمال في المعجم السبئي، ففيه مادة "ص هـ ر"، عملُ بناء/ مادةُ بناء، ومعنى آخر فيه شك هو صاروج، نورة، ص141، وفي تاج العروس: صهر الشيء كالشحم ونحوه يصهر صهراً: أذابه فانصهر فهو صهير. وفلانٌ رأسه صهراً: دهنه بالصهارة بالضم، وهو ما أذيب من الشحم، (12/ 369)، **قلت**: هذا الاستعمال الأخير هو نفسه عندنا في مشارق خولان الطيال.

15 راجع: www. dasi.cnr.it.

16 اخترنا كلمة عامة (ملط)، مع أن الصورة تظهر أن جدار المكان الذي عثر فيه على النقش مقضضة، لكن الجزم بنوع الملاط الذي طلي به السور رهن باكتشاف السور، ومن خلال معرفتنا المحدودة بأسوار بعض الأماكن الأثرية، فإن المادة المستعملة كانت الطين المبلل بالماء (الخلب)، وكان القضاض يستعمل في طلاء المآجل والبرك والسواقي وسقوف الأبنية.

17 معجم الألفاظ المعمارية، ص٤٥-٤٦.

18 المعجم السبئي، ص50.

19. المندب في كتب التراث العربي المرجعية، مطهر علي الإرياني، مجلة "الإكليل" -تصدرها وزارة الثقافة اليمنية -صنعاء، العدد 41، خريف 2012م، ص29-30.

20. المرجع السابق، ص١١٩، وانظر المعجم اليمني للإرياني، وفيه قوله: "وبقي لها [أي مادة "ص ن ع"] ذكر في لهجاتنا المحكية حتى اليوم، ولكن من حيث الأسماء ودلالاتها، وليس من حيث الأفعال وصيغها"، ص٥٦٠، ط/ الأولى، ١٩٩٦م.

21. معجم الألفاظ المعمارية، ص١١٨-١١٩، والمعجم السبئي، ص143.

22. راجع: لسان العرب، 8/ 211،212، وتاج العروس، 21،371- 373 (بتحقيق عبد العليم الطحاوي)، وشمس العلوم، 6/ 3833 (وحاشيتها)، والمعجم اليمني في اللغة والتراث، مطهر الإرياني، دار الفكر -دمشق، ط/ الأولى، ١٩٩٦م، ص563-565.

23. راجع المعجم اليمني، ص560-566، والمعجم السبئي، ص143 و560.

24. لسان العرب، 8/ 210، وتاج العروس، 21/ 366، 367.

25. القرآن المفسر بإعراب ميسر، أحمد علي المؤيد، دار المحجة البيضاء -بيروت، ط/ الثانية، 1433هـ-2012م، ص413.

26. معجم الألفاظ المعمارية، ص١١٨-١١٩.

27. المرجع نفسه، ص٥٥-٥٦.

28 المعجم السبئي، ص53.

29 معجم الألفاظ المعمارية، ص٦٠-٦١.

Ga 1630، Ir 49، zm 2263، ومعجم الألفاظ المعمارية، ص٤٥.

31 كنت قد سألت الأخ عبد الله النمراني أن يبحث في الموقع إن كان يجد في السور ما يدل على وجود برج أو أبراج، فأكد عدم وجوده.

32 راجع: ترجمات يمانية، إعداد وترجمة: عبد الله الشيبة، منشورات دار الكتاب الجامعي، ص١٤٣.

33 نقوش من الحد، ص66.

34 المعجم السبئي، ص٩٢.

35 نقشان من الأقمر، مطهر علي الإرياني، دراسات يمنية (مجلة) -صنعاء، العدد ٤٧، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص٥٨-٥٩.

36 نقوش من الحد، ص66.

37 شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، تحقيق: العمري والإرياني ويوسف عبدالله، دار الفكر المعاصر -بيروت، ودار الفكر -دمشق، ط/ الأولى 1420هـ = 1999م ،ج 10/ 6633 -6636، ولسان العرب، لابن منظور، دار صادر -بيروت، د.ت، ج 2/ 618 – 619، والقاموس المحيط، للفيروز أبادي، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد

البقاعي، دار الفكر -بيروت، طبعة 1432هـ = 2010م ص 222 - 223، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، سلسلة التراث العربي -الكويت، ط/ الثانية مصورة، 1415هـ-1994م، 7/ 180-185.

38 قارنها بما ورد في نقش بيت ضبعان: "م ن ض ح ي هـ م و"، نقوش مسندية، ص252.

39 وراجع أيضاً: ترجمات يمانية، ص152.

40 آلهة الأمطار في اليمن القديم، فيصل محمد إسماعيل البارد، مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث -ذمار، العدد 17، ذي الحجة 1434هـ = أكتوبر 2013م ص 23.

41 معجم الألفاظ المعمارية، ص33.

42 المرجع نفسه، ص33-34.

43 لعلها كانت تنطق "تِحِرَّاج" أو "تَحْرُوج".

44 عند بافقيه وباطايع، راجع: نقوش من الحد، ص66، (مرجع سابق).

45 كأنها تنطق: "مُحَرِّج" إن كان الفعل مضعفاً "حرَّج"، أو "مُحْرِج" إن كان غير مضعف "حَرَج".

46 المعجم السبئي، ص70، وقارن بالمعجم القتباني، Lexicon Of Inscriptional Qatabanian، Stephen D. Ricks، Rome، ص66.

47 To DIRECT، SUPERVISE، ADMINISTER، TO PUT INTO EFFECT، ESTAVBLISH، TO COMMAND، المعجم القتباني، ص66.

48 To PROTECT، المعجم القتباني، ص66.

49 ORDER، COMMAND DIRECTION، PRODECTION المعجم القتباني، ص66.

50 مدينة السَّوا في كتاب الطواف حول البحر الإريتري، دراسات يمنية (مجلة) -صنعاء، العدد 34، 1409 = 1989م، ص 37.

51 المعجم النبطي، سليمان بن عبد الرحمن الذيب، مكتبة الملك فهد الوطنية -الرياض، 1412هـ-2000م، ص102.

52 لسان العرب، 2/ 233-234، والقاموس المحيط، 168، تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج، 1389هـ-1969م، 5/ 472.

53 معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، حققه: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر -بيروت، (د.ت)، ص259.

54 لسان ظفار الحميري، محمد بن سالم المعشني، جامعة السلطان قابوس -مسقط، ط/ الأولى، 1424هـ-2003م، ص176.

55 ص١٣٠-١٣١، (مرجع سابق).

56 ص١٦٩، (مرجع سابق).

57 المعجم السبئي، ص١٦١.

58 المعجم القتباني، ص55.

59 أورد المعجم العبري الآرامي للعهد القديم مقارنة بين كلمة "ياقه" العبرية وما يقابلها بالعربية الفصحى وبالعربية الجنوبية القديمة، أي بلغة النقوش اليمانية، والأكدية، راجع: KBL. a cura di Ludwig Kohler e ،Lexicon in Veteris Testamenti Libros pp 397، 1958، Leiden، Baumgartner،Walter

60 Obediently، to be obedient :راجع معجم، KBL. Lexicon in Veteris Testamenti Libros، a cura di Ludwig Kohler e Walter، Baumgartner، Leiden، 1958، pp 397.

61 To a word، command :راجع قاموس، The Assyrian Dictionary Of The Oriental Institute Of The University Of Chicago، 2010، published by the oriental Institute Chicago، Illinois، U.S.A.PP 404.

62 استنتاجاً.. مثلما أفادنا الدكتور علي العامري في نقاش بيننا.

63 لسان العرب، 13/ 532-533، والقاموس المحيط، ص1131، وتاج العروس، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، راجعه: ضاحي عبدالباقي وخالد عبدالكريم جمعة، ط/ الأولى، 1422هـ-2001م، 36/ 548-549، وكنت قد ذكرت في دراسة سابقة عن "لغة أهل اليمن في معجم شمس العلوم لنشوان الحميري"، أن المفردات اليمانية قليلة في معجم نشوان، وضربت أمثلة على ذلك، وها هنا أجد مثالاً آخر، فلم أجد "وقه" تحت مادة "و ق هـ" في باب "الواو

والقاف وما بعدهما" 11/ 4241، ولا في باب "الواو والفاء وما بعدهما" 11/ 7231، راجع كتابنا "اليمن واليمانون في شمس العلوم" (ط/ الأولى، 2016م)، وأيضاً كتابنا "في لغة أهل اليمن" (ص366-369، ط/ الثانية، 1440هـ- 2019م).

64 القاموس المحيط، 1131، تاج العروس، 36/ 548-549.

65 لسان العرب، 13/ 532.

66 معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ص1100.

67 القاموس المحيط، ص1131.

68 وترجمت "ي ق هـ ن ن" في المدونة (DASI) بـ"order"، 3 مرات في النقوش الموسومة، بـ (RES 4962، RES 4137، Ja 668)، وبـ"command" مرة في النقش الموسوم بـ (Ja 578)، والمعنى الجامع لهما: أمر، وبينهما فروق أخرى راجعها في قواميس اللغة الإنجليزية، كقاموس أكسفورد الحديث.

69 كانت تعرف قديماً بـ"ت ع ر م ن"، وتقع في بلاد الروس على بعد نحو 7 كيلات شرق قمة نقيل يسلح.

70 مدينة السّوا في كتاب الطواف حول البحر الإريتري، ص٤٠.

71 نقوش مسندية، ص٢٦٠.

72 نقوش مسندية، ص261، وتوحيد اليمن القديم، ص271.

73 المرجع السابق، ص٦١.

74 انظر: ذي جره ودورهم في حكم سبأ وحمير، علي محمد الناشري، وزارة الثقافة والسياحة -صنعاء، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٩٦-١٠١.

75 توحيد اليمن القديم، محمد عبد القادر بافقيه، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية -صنعاء، ٢٠٠٧م، ص٢٧٢.

76 المصدر السابق، ص٢٧٣.

77 المصدر السابق، ص٢٧٦.

78 في العربية السعيدة 2، محمد عبد القادر بافقيه، مركز الدراسات والبحوث -صنعاء، ط/ الأولى،

1414هـ-1993م، ص63.

79 نقشان من الأقمر، ص٦٥.

80 كنقش بيت ضبعان، إرياني، 49، نقوش مسندية، ص252.

81 أهمية نقوش المعسال، ريدان (مجلة)، العدد 3، ص16، وتوحيد اليمن القديم، ص277-278.

82 شهدت "ظفار" وجوداً حبشياً سواءً في صورة عسكرية أم في صورة دينية، فنحن نراهم في ظفار سنة 517م، حين تعقبهم الملك الحميري يوسف ذو نواس، ونكل بهم، وأحرق كنائسهم. (راجع: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر -بيروت، ودار الفكر -دمشق، ط/ الثانية، 1411هـ-1990م، ص249).

83 حلف سبأ وحمير وحضرموت، محمد بافقيه، ريدان (مجلة)، العدد الخامس، ص54، ونقش جديد من مأرب، إرياني، 69، نقوش مسندية، ص345-348، وفي العربية السعيدة 2، للمؤلف نفسه، ص68.

84 توحيد اليمن القديم، ص39، 268.

85 أهمية نقوش المعسال، محمد بافقيه وكريستيان روبان، ريدان (مجلة)، المركز اليمني للأبحاث والثقافية والآثار والمتاحف -عدن، العدد الثالث، 1980م، ص18، والأحباش في تاريخ اليمن القديم (من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي، علي عبد الرحمن الأشبط، إصدارات جامعة صنعاء، 1431هـ-2010م، ص130-131، (مصورة)، والنقش الموسوم بـ" Ja 631" في مدونة النقوش (DASI).

86 أهمية نقوش جبل المعسال، ص18-19، وقد استمر تهديد الحبشة لظفار حتى عهد ياسر يهنعم حين هاجم "ذتونس" و"زقرنس" ملكا الحبشة، ومعهما ذو معافر، أرض حمير، راجع: ريدان (مجلة)، العدد 3، ص19.